احتلال الصليبيين لبيت المقدس في عهد الحملة الصليبية الأولى

دراسة مقارنة بين مصادر المؤرخين اللاتين والمسلمين

الدكتور سعد حميد كمبش

م.م. هشام محمد رفيق

ملخص البحث

تحتل القدس والمسجد الأقصى مكانة خاصة لدى الأديان الثلاثة، فهي بلد الأنبياء ومهبط الوحي والرسالات، فصارت كل المنطقة المحيطة بها فلسطين والشام مهمة لجميع الشعوب العربية والاسلامية والاوروبية.

لكن كان الموقف مختلفا بين المسلمين والصليبيين عند السيطرة عليها، ففي الوقت الذي نرى الصليبيين عند دخولها عابثين مدمرين وقاتلين للشعب الاسلامي التي كان يعيش فيها، نرى المسلمين يتعاملون مع النصارى تعاملاً إنسانياً، يتسم بالعفو والتسامح.

ولقد صبغت هذه الحروب آنذاك بالصبغة الدينية للسيطرة على المدينة المقدسة بيت المقدس من قبل الغرب اللاتيني، ولإتاحتها للمسيحيين في العالم ليحجوا إليها، وكان المحرض والمحرك الأول لهذه الحروب هي البابوية في روما.

ويبدو أن تسميتها بالحروب الصليبية بسبب اتخاذهم من الصليب شعاراً لهم في حملاتهم ضد المسلمين.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعه وسار على نهجه الى يوم الدين.

لقد كتب الكثير من المؤرخين اللاتين والمؤرخين المسلمين عن الحملة الصليبية الأولى منذ ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م، وما رافقها من أحداث، لكن أهمها ما كتبها مؤرخو الحملة الصليبية الأولى أنفسهم ممن شاركوا في أحداثها، أو عاصروا أحداثها ونقلوا عن من شارك في هذه الحملة.

اعتمدنا في دراستنا هذه على شاهد عيان للحملة الصليبية الأولى وهو القس فوشيه الشارتري في كتابه تاريخ الحملة الى القدس، الذي كتب عن كل تفاصيل الحملة منذ ٤٨٨ه/ ١٠٩٥م – ٥٢١ه/ ١١٢٧م، وتعد دراسته ذات أهمية خاصة لأنه شارك في هذه الحملة، وكان مقرباً من بلدوين الأول ورفيقه في أسفاره، أمكنه هذا القرب من مصادر صنع القرار أن يكتب تفاصيل مهمة لم يدونها غيره.

كان عملنا في هذه الدراسة هو مقارنة ما كتبه فوشيه عن دخول بيت المقدس والمجازر التي ارتكبها الجنود الصليبيون بالسكان ونهب البيوت والأموال، ثم مقارنتها مع ما كتبه مؤرخون لاتين وهم: وليم الصوري صاحب كتاب الحروب الصليبية (أعمال الفرنجة فيما وراء البحار)، ومؤلف مجهول في كتابه (أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس)، ومقارنة هذه الأحداث مع ما كتبه مؤرخون مسلمون وهم: ابن القلانسي، وابن الأثير، وابن خلكان، وابن الجوزي وسبط ابن الجوزي.

تكونت الدراسة من مبحثين، المبحث الأول: التعريف بالمؤرخ فوشيه الشارتري وكتابه وتوجهاته وفيه أولاً: التعريف بالمؤلف ووصف الكتاب، ثانياً: أسباب تأليفه للكتاب، ثالثاً: توجهاته ومواقفه في كتابه (تاريخ الحملة الى القدس)، والمبحث الثاني بعنوان: دراسة مقارنة بين مصادر المؤرخين اللاتين والمسلمين، وفيه: أولا: المذابح التي ارتكبها الصليبيون في القدس، وثانياً: عدد قتلى السكان في القدس، ثالثاً: دخول بيوت المسلمين وأخذها ونهب ما بها من مال وأثاث.

المبحث الأول
التعريف بالمؤرخ فوشيه الشارتري وكتابه وتوجهاته

أولاً: التعريف بالمؤلف ووصف الكتاب

عندما دعا البابا رجال اوروبا المسيحية لحمل الصليب لتحرير القدس من قبضة «الكفار»؛ استجاب لندائه الكثيرون ومنهم القسيس فوشيه الشارتري، وقد انضم فوشيه الى الحملة الاولى التي انتهت باحتلال القدس، ثم قضى بقية حياته في القدس، حيث كتب تاريخه هذا، الى أن انقطع عن الكتابة عام ٥٢١ه/ ١١٢٧م، وربما توفي في ذلك العام عن عمر يناهز الثمانية والستين عاماً[١].

ولد فوشيه في شارتر في فرنسا عام ٤٥٠ه/ ١٠٥٨م أو ٤٥١ه/ ١٠٥٩م، رافق الحملة الصليبية وأدرك الأهمية التاريخية للأحداث التي عاشها فابتدأ بتدوينها، رافق الحملة التي غادرت شارتر الى ان انضم الى بلدوين الأول حين انشق هذا عن الجيش الرئيسي في آسيا الصغرى وزحف بمجموعة صغيرة شرقا عبر الفرات وأسس امارة الرها الصليبية عام ٤٩٢ه/ ١٠٩٨م، وبقي هناك مدة عامين الى ان تولى بلدوين الأول عرش القدس بعد وفاة أخيه جودفري، وان فوشيه قسيس بلدوين الخاص ورافقه في حروبه وأسفاره، ومن المحتمل أنه كان مستشاراً له[٢].

يقع تاريخه في ثلاثة كتب، يبدأ الأول بمجلس كليرمونت وخطبة البابا التاريخية سنة

(١) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس (١٠٩٦-١١٢٧)، ترجمته من اللاتينية الى الانجليزية: الأخت فرنسيس ريتا ريان، ترجمة: د. زياد جميل العسلي، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٠م، ص١٠.
(٢) الكلام للمترجم د. زياد العسلي؛ فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص١٠-١١.

١٠٩٥م وينتهي بوفاة جودفري أمير القدس، ويبتدئ الكتاب الثاني باعتلاء بلدوين الأول عرش القدس ووصف الأحداث التي جرت الى وفاته في العريش، ثم يبتدئ الكتاب الثالث باعتلاء بلدوين الثاني عرش القدس الى ان ينتهي فجأة عام ١١٢٧م، ومن المرجح أن فوشيه توفي هذا العام، أو أصيب بمرض أقعده عن الكتابة[١].

ومن الواضح أن مركز فوشيه كقسيس بلدوين الأول الخاص مكنه من الاطلاع على دخائل الأمور، وأتاح له أن يكون شاهد عيان لأحداث لم يسجلها غيره، وقد ارتقت مكانة فوشيه بين المؤرخين المحدثين بعد قرون من الإهمال الى ان ضبط هانجمير النص اللاتيني لكتب فوشيه الثلاثة، ثم قدم تحليلا لحياته ومواقفه وأسلوبه وقيمته التاريخية، فوطد بذلك مركز فوشيه كمرجع اساسي لا يستغنى عنه لدراسة الحملة الصليبية الاولى ومملكة بيت المقدس الصليبية في عقودها الاولى[٢].

تكمن أهمية معلومات هذا الكتاب ان مؤلفه عاصر أحداث الحملة الفرنجية الاولى وكان شاهد عيان على معظم الأحداث التي دونها في كتابه، فيقول: «وسجلت على قدر ما استطعت، ما شاهدت بأم عيني في تلك الرحلة « [٣]، بالإضافة الى المعلومات التي استقاها من شهود العيان[٤].

ثانياً: أسباب تأليفه للكتاب

ذكر فوشيه عدة أسباب دعته الى تأليف كتابه تاريخ الرحلة الى بيت المقدس، ذكره في

(١) ينظر: الزهاوي، د. عباس عبد الستار عبد القادر، استشراق الحروب الصليبية بين المعاصرين والمحدثين، دار الفراهيدي، بغداد، ط١، ٢٠١١م، ص٢٧.

(٢) الكلام للمترجم د. زياد العسلي؛ فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص١١.

(٣) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، مقدمة فوشيه، ص٢٦.

(٤) لؤي ابراهيم بواعنة، رؤية المؤرخين الفرنج لواقع المسلمين إبان الحملة الصليبية الأولى (٤٩٠-٥٢١ه/ ١٠٩٦-١١٢٧م)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد ٥، العدد ٣، ٢٠١١م، ص٥٧.

مقدمة كتابه وهي:

١. كان مبتغاه كتابة وتوثيق أعمال الحملة الى الحرب المقدسة، وذكر البطولات للجنود الصليبيين، قائلاً: (انه لمن المبهج للأحياء، بل انه من النافع للأموات، أن تقرأ في الصحائف المسطورة أعمال الشجعان من الرجال، لا سيما اولئك الذين يقاتلون من أجل الله، أو ان تتداولها ألسنة المؤمنين بخشوع إذ هي محفوظة في ثنايا ذاكرتهم، فالأحياء عند سماعهم بمقاصد أسلافهم التقية، وكيف اطاع هؤلاء ناموس الأناجيل، وازدروا متاع الحياة الدنيا وهجروا والديهم وزوجاتهم وأموالهم مهما عظمت، يحفزهم بذلك على ان يتبعوا الله ويكرسوا انفسهم له)[١].

٢. السبب الثاني هو طلب رفاقه منه توثيق هذه الأعمال العظيمة، فقال: (ومدفوعا بإلحاح الطلب من بعض رفاقي، فقدت سردت بعناية وترتيب أعمال الفرنجة المجيدة)[٢].

٣. السبب الثالث: هو أن فوشيه أدرك الأهمية التاريخية للأحداث التي عاشها فابتدأ في تدوينها، وخاصة ان مركزه كقسيس، ومستشارا لبلدوين ورفيقه في أسفاره مكّنه من الاطلاع على دخائل الأمور، وأتاح له أن يكون شاهد عيان على أحداث لم يتمكن غيره من تدوينها.

ثالثاً: توجهاته ومواقفه في كتابه (تاريخ الحملة الى القدس)

ومن خلال دراستي لكتابات فوشيه تبين لي الآتي:

١. نظر للحملة الصليبية على انها حرب مقدسة، فهو يقول: (الحق اننا تحملنا، محبة بالله، هذه المشقات)[٣]، وان الرب هو الذي أمرهم بالتوجه الى بيت المقدس وأخذها من أيدي

(١) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٢٥.
(٢) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٢٥٦
(٣) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٨١.

المسلمين، وأن هذه الحملة بمباركته: (وان هذا الانجاز الذي اختار الرب ان يتم على يد شعبه ، أولاده وعائلته الاحباء الذين اختارهم لهذه المهمة، سوف يخلد وتجري ذكراه على السنة جميع الامم الى ابد الابدين)[1].

٢. اعتبر الصليبيين كلهم حجاجا، سواء كانوا مدججين بالسلاح ام عزلا، وكل من مات في حجته منهم شهيدا وكل من ارتد منهم جبانا، فهو يذكر القادة بأنهم توجهوا الى ومن معهم حج بيت المقدس بعنوان (حجة بيهمند وبلدوين)[2].

٣. نظرته لسكان البلاد تتميز بالبساطة والشمول، فهم في نظره اعداء المسيح كفار وثنيون، قساة وبرابرة، لا تعرف قلوبهم الرحمة، فجردهم بهذه النظرة من انسانيتهم، سرد وبكل بساطة كيفية قتلهم وبوحشية وكيف تلطخت كواحل الفرنجة بالدماء في ساحة الاقصى بعد ان قطعت رؤوس الالاف من المسلمين «ولم يرحموا امرأة ولا طفلاً»[3] وبقيت جثثهم متعفنة خلف السور تزكم رائحتها الأنوف حتى بعد المجزرة بعام.

٤. نظر الى المسلمين نظرة عنصرية، فقد اطلق على اعدائه اسماء مختلفة فدعاهم بالكفار، والوثنيين الشرقيين، والأتراك والفرس والعرب والأحباش، فهو يقول: (فدب الرعب الهائل في قلوب الكفار)[4]، وجميع هذه المسميات ذات دلالات سياسية ودينية وحتى اجتماعية، مردها الأساسي الجهل بطبيعة الدين الإسلامي وبالمسلمين، والخلط وافتقارهم لتقييم صحيح للمجتمع الاسلامي، وكذلك حالة العداء والحقد على المسلمين مع ميول

(١) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٧٦.
(٢) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٨٠.
(٣) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٧٥.
(٤) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٧٤.

سياسية ودينية واضحة عندهم[1].

٥. لم يميز بين السنة والشيعة، ولا بين الأتراك والفرس، ولا بين خليفة بغداد وخليفة القاهرة، فكلهم لديه سواء في كفرهم ووحشيتهم، فهو يقول: (فقد كان بمقدور الأتراك بعد ان اندحروا الى بلاد الفرس، ان يستعيدوا الاراضي بهجوم مباغت)[2]، وقد بلغ مدى جهله بالدين الاسلامي او ازدرائه له، أنه ذكر ان المسلمين اقاموا الصلاة لصنم باسم النبي محمد في قبة الصخرة في القدس، وذكر كذلك: (لقد مارس الشرقيون هنا عبادتهم الوثنية بشعائر خزعبلية، كما انهم لم يسمحوا بدخول المسيحيين اليه)[3].

٦. لم يفرق بين مدينة بابل في العراق، ومدينة بابليون في مصر، فهو يقول: (ما ان سمع ملك بابل (مصر) وآمر قواته لافيد اليوس (الافضل) بدخول الفرنجة الى البلاد لإخضاع المملكة المصرية لسيطرتهم، حتى اصدر امراً بحشد جموع الاتراك والعرب والاحباش وسارع لقتالهم)[4].

٧. نظر الى الامراء والفرسان المسيحيين نظرة اعجاب وأشاد بأمجاد كل امير منهم، حتى من اختلف منهم مع سيده بلدوين، وافتخر بانتصاراتهم وبالغ في عدد اعدائهم في الوقائع، وقلل من عدد جنودهم ليظهر تفوقهم في فنون الحرب، وغض الطرف عن تصرفاتهم الشائنة.

٨. متدين، يؤكد على مسألة العناية الإلهية، يقتبس من الكتاب المقدس، مثل: «حيث

(١) لؤي ابراهيم بواعنة، رؤية المؤرخين الفرنج لواقع المسلمين إبان الحملة الصليبية، ص٦٧.
(٢) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٨٠.
(٣) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٧٥.
(٤) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٧٧.

صعدت الاسباط أسباط الرب شهادة «[1] (مزامير ٤:١٢٢)، وأرجع فضل فوزهم في الحرب للرب وللصليب المقدس، وارجع هزيمتهم لفسقهم وانغماسهم في الملذات.

٩. ركز اهتمامه على أعداد الفرنج والمسلمين والخسائر البشرية لكل من الطرفين، واهتمامه بها في كل المواجهات مما يؤكد قربه من الحدث، فهو يسأل الفرسان المشاركين في المعركة، لكن ذلك لا يعني التسليم بما يقدمه من أرقام يسعى فيها دائما الى إعطاء صورة من التضحيات الجسيمة التي قدمها الفرنجة وصولا الى القدس، مما يؤكد الشك في دقتها[2].

١٠. اكثر من استخدام أبيات الشعر، ومع ذلك يتسم اسلوبه بالبساطة والسهولة والوضوح، ومن أمثلة الشعر:

وبسيوف مشرعة ركض رجالنا في المدينة

لا يستبقون أحداً حتى أولئك الذين يستعطفون الرحمة

وتساقط الجمع كما يتساقط التفاح المتعفن

من الاغصان المهزوزة او جوز البلوط من الشجر المتمايل[3].

١١. يبدو أن فوشيه تأثر قليلاً بما فعله الصليبيون بالمسلمين من قتل وبوحشية، شمل حتى النساء والأطفال، لكن كان تأثره قليلا جدا، بدليل أنه ذكر ذلك بعبارة مقتضبة ومختصرة جداً، فقد ذكر أنه لا يستطيع التعليق على أفعالهم؛ لأن هذه أفعال وحشية، فيقول: (ماذا أقول؟ لم يبق منهم أحد، ولم يرحموا امرأة ولا طفلاً)[4].

---

(١) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٨٠.

(٢) لؤي ابراهيم بواعنة، رؤية المؤرخين الفرنج لواقع المسلمين إبان الحملة الصليبية، ص٥٨.

(٣) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٧٥.

(٤) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٧٥.

المبحث الثاني

دراسة مقارنة بين مصادر المؤرخين اللاتين والمسلمين

عملت في هذا المبحث على مقارنة النصوص للمؤرخين اللاتينيين، ثم مقارنتها مع النصوص التي كتبها المؤرخون المسلمون.

أولا: المذابح التي عملها الصليبيون عند دخولهم بيت المقدس

تباينت مواقف مؤرخي الحروب الصليبية من هذه المذابح، ففي الوقت الذي لم يحجم أحد عن ذكرها، أظهر بعضهم مشاعر الحزن والأسى تجاه الضحايا، في الوقت الذي رأى فيها البعض الآخر عقوبة إلهية للمسلمين، وتطهيرا لذنوبهم بسبب اغتصابهم قبر السيد المسيح[1].

فيما يخص مذبحة القدس، ذكر فوشيه مجموعة أحداث ومنها ان الجنود الصليبيون[2]: (كانوا يضيقون الحصار والهجوم من ناحية اخرى من المدينة، إلى ان رأوا الشرقيين يقفزون من اسوار المدينة، وانضموا الى رفاقهم يلاحقون ويذبحون اعدائهم الاشرار بلا توقف)، ويذكر أيضا (فرّ بعض هؤلاء، عرباً واحباشاً الى برج داود، وحشد اخرون انفسهم في هيكل سليمان وعبد الرب، وفي ساحة هذا البنيان شن رجالنا هجوماً عنيفاً على الشرقيين فلم يكن لهم من سيوفنا مفر)، (اما الشرقيون الذين صعدوا الى قبة هيكل سليمان فقد اطلقت عليهم السهام وخروا صرعى يتساقطون على رؤوسهم، وقد قطعت رؤوس ما يقارب من عشرة الاف شخص في هذا الهيكل، ولو كنت هناك لتلطخت قدماك حتى الكواحل بدماء القتلى، ماذا اقول ؟ لم يبق منهم احد ولم يرحموا امرأة ولا طفلاً).

(١) ينظر: الزهاوي، استشراق الحروب الصليبية بين المعاصرين والمحدثين، ص٢٧.
(٢) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٧٥.

وذكر أيضا في موضع آخر؛ عند ذكر الغنائم التي أخذها المسيحيون: (كم كانت تصيبك الدهشة لو أنك شاهدت رجالنا المشاة وحملة الترس، بعد ان اكتشفوا الاعيب الشرقيين يبقرون بطون من ذبحوا ليستخرجوا من أمعائهم الدنانير الذهبية التي كانوا قد ابتلعوها وهم على قيد الحياة وللسبب ذاته وبعد بضعة أيام، جمع رجالنا كومة عظيمة من الجثث واحرقوها رماداً لكي يسهل عليهم الحصول على هذا الذهب)[1].

ويقول أيضا: (وكم زكمت انوفنا الروائح الكريهة حول اسوار المدينة من الداخل والخارج، المتصاعدة من جثث الشرقيين المهترئة الذين فتك بهم رفاقنا عند احتلال المدينة، منطرحة حيث تم اصطيادها)[2].

أما وليم الصوري فيتفق مع فوشيه في ذكر المذابح من قبل الجنود للسكان في مدينة القدس، فذكر: (وشهدت أرجاء المدينة مذبحة فظيعة الشناعة، وكان الدم المسفوك مخيفا، حتى أن المنتصرين أنفسهم ساورهم الاحساس بالخوف وشعروا بالتقزز)[3].

ويقول أيضا: (فرّ الجانب الأكبر من الناس الى فناء المسجد لوقوعه في موضع قاصٍ من المدينة كان محصنا أشد التحصين بسور وأبراج وأبواب، لكن فرارهم الى هناك لم يسعفهم بالخلاص، إذ سرعان ما اقتفى تانكريد أثرهم على رأس معظم رجال الجيش الذين اقتحم بهم المسجد، وأعمل مذبحة شرسة)[4].

ويكمل وليم الصوري نقل أحداث المذابح التي حدثت في بيت المقدس ويلبسه

---

(١) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٧٥.

(٢) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٨٢.

(٣) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة: د. حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ج٢، ص١٢٦.

(٤) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص١٢٦.

بلباس ديني كما فعل فوشيه، وكأن الرب أمرهم بذبح السكان العزل من السلاح وذبح النساء والأطفال، فيقول: (وأما القادة الآخرون فقد ترامى الى علمهم – بعد فتكهم بكل من صادفهم في شتى نواحي المدينة – أن الكثيرين قد فروا الى أطراف المسجد الطاهر، فأسرعوا كما لو كانوا على اتفاق فيما بينهم وانطلقوا يتعقبونهم، ودخل المسجد حشد من الفرسان والمشاة، فذبحوا ذبح الشاة كل من لجأ الى هنا يبتغي الحماية، وأعملوا القتل فيهم لم تأخذهم رحمة بأحد ما، حتى فاض المكان كله بدماء الضحايا، وكان ذلك قضاء عادلا من الرب أمضاه فيمن دنسوا هيكل السيد بشعائرهم الخرافية وحرموه على شعبه المؤمن، فكان لا بد من أن يكفّروا عن خطيئتهم بالموت، وأن تطهر الأماكن المقدسة بدمهم المهراق، كان من المستحيل ان يطالع المرء كثرة القتلى دون ان يستولي عليه الفزع، فقد كانت الأشلاء البشرية في كل ناحية، وغطت الأرض دماء المذبوحين، ولم تكن مطالعة الجثث – وقد فارقتها رؤوسها – ورؤية الأعضاء المبتورة المبعثرة في جميع الأرجاء هي وحدها التي أثارت الرعب في نفوس جميع من شاهدوها، بل كان هناك ما هو أبعث على الفزع ألا وهو منظر المنتصرين أنفسهم وقد تخضبوا بالدماء، فغطتهم من رؤوسهم الى أخمص أقدامهم، فكان منظرا مروعا بث الرعب في قلوب كل من قابلوهم)[1].

أما وليم الصوري فيبين أنه لم يكتف الجنود بقتل من ظهر أمامهم، ولكن بتتبع حتى السكان المختفين عن أعينهم خوفا من الموت فقال: (وانطلق بقية العسكر يجوسون خلال الديار بحثا عمن لا زال حيا من التعساء الذين قد يكونون مختفين في الأزقة والدروب الجانبية، فرارا من الموت، فكانوا اذا عثروا عليهم سحبوهم على مشهد من الناس وذبحوهم ذبح الشياه)[2].

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص١٢٧.
(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص١٢٨.

ثم يذكر أن بعض الجنود عملوا عمل العصابات فقال: (وجعل بعض العسكر من أنفسهم عصابات انطلقت تسطوا على البيوت ممسكين بأصحابها ونسائهم وأطفالهم، وأخذوا كل ما عندهم، ثم راحوا يقتلون البعض بالسيف، ويقذفون بالعض الآخر من الأمكنة العالية الى الأرض فتتهشم أعضاؤهم ويهلكون هلاكا مروعا)[1].

أما حديثه عن قتلى المسلمين وإخراج جثثهم خارج المدينة بعد أيام من المذبحة فيشبه كلام فوشيه فيقول: (رأى الزعماء أن الضرورة تتطلب قبل كل شيء تنظيف المدينة ولا سيما نواحي الهيكل حتى لا يتفشى الطاعون بسبب الهواء الملوث بالنتن المتصاعد من جيف القتلى، فقرروا ان يقوم بهذا العمل السكان الأسرى الذين شاءت الصدفة أن يتخطاهم منجل الموت ليلقوا في السجون، بيد أن عددهم لم يكن كافيا لإنجاز مهمة كبيرة كهذه المهمة، ومن ثم قدم الزعماء أجرا يوميا لفقراء الجيش (الصليبي) لقاء مدهم يد المساعدة في تنظيف المدينة من غير إبطاء)[2]، وقد بين وليم الصوري أنهم أتموا الأمر على أحسن ما يكون من النظافة (أما الذين عهد إليهم بتطهير المدينة فقد بذلوا – فيما كلفوا به – همة وجهدا كبيرين، فأحرقت بعض الجيف، ودفن البعض الآخر حسبما يأذن الوقت، وأنجزوا عملهم هذا كله في أيام قلائل معدودات)[3].

أما مؤلف كتاب أعمال الفرنجة فذكر: (لما ولج حجاجنا المدينة جدّوا في قتل الشرقيين ومطاردتهم حتى قبة عمر، حيث تجمعوا واستسلموا لرجالنا الذين أعملوا فيهم أفظع القتل طيلة اليوم بأكمله، حتى لقد فاض المعبد كله بدمائهم)[4].

---

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص١٢٨.

(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص١٣٤-١٣٥.

(٣) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص١٣٦.

(٤) مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة: د. حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة،

وفي مشهد آخر نقل ما رآه في المسجد الأقصى بقوله: (وفي صباح اليوم التالي تسلق رجالنا سطح الهيكل وهجموا على الشرقيين رجالاً ونساء، واستلوا سيوفهم وراحوا يعملون فيهم القتل، فرمى بعضهم بنفسه من أعلى المعبد)[1].

وبعد ان تم الأمر للصليبيين يقول مؤلف كتاب أعمال الفرنجة: (وصدر الأمر بطرح كافة موتى الشرقيين خارج البلدة لشدة النتن المتصاعد من جيفهم، ولأن المدينة كادت أن تكون بأجمعها مملوءة بجثثهم، فقام الشرقيون الذين قيضت لهم الحياة بسحب القتلى خارج بيت المقدس وطرحهم أمام الأبواب، وتعالت أكوامهم حتى حاذت البيوت ارتفاعا، وما تأتى لأحد قط أن سمع أو رأى مذبحة كهذه المذبحة التي ألمت بالشعب الوثني)[2]، وجمعت أكوام من الحطب كأنها الجبال، وأحرقوا عليها، ولا يعلم غير الرب عدد الذين أحرقوا[3].

ان ما صوّره لنا المؤرخون الذين رافقوا الحملة الصليبية الأولى من عنف وبطش وقتل بحق المسلمين ليس له ما يبرره سوى الحقد الدفين والكره الكبير الذي كان يكنّه الفرنج للمسلمين، فما إن ملكوا زمام الأمور في بيت المقدس حتى ظهر حقدهم جلياً بملاحقة السكان وقتلهم ببشاعة تدل على الوحشية، من بقر للبطون، وتقطيع للأعضاء، وحرق للجثث.

وهذا ما ذكره المستشرق الألماني هانس ماير فهو يقول: وقد أفرغ حماس النصر وتعصب

١٩٥٨م، ص١١٨.

(١) مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص١١٩.

(٢) مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص١١٩-١٢٠.

(٣) مجهول، يوميات صاحب أعمال الفرنجة، ترجمة: سهيل زكار، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، ١٤١٦ه/ ١٩٩٥م، ج٦، ص١٧١.

الصليبيين الديني وتراكم ذكريات المشقات التي تحملوها خلال ثلاث سنوات، وفي حمّام دم مرعب سقط ضحيته كل واحد وقع تحت نصلة القتلة الصليبيين بغض النظر عن دينه وعنصره، ... إلا أن الحملة الصليبية بلغت هدفها وأصبح قبر السيد المسيح مرة أخرى في أيدي النصارى[1].

ومن السخرية ان الفرنج بعد ان ضجروا من القتل وانتهت نوبة الانتقام المحمومة، وضعوا سيوفهم الملطخة بالدماء عندما أرخى الليل ستاره، وسار جودفري وزملاؤه الى كنيسة القبر المقدس، وذلك بملابسهم الملطخة بالدماء حتى بكوا من شدة الفرح حيث قضوا ليلتهم في الشكر والتعبد والبكاء والاحتفال بانتصارهم المختلط برائحة جثث القتلى بالمدينة المقدسة[2].

ورغم محاولة المؤرخين الأوربيين تبرير مذبحة القدس بأنها كانت ضرورة لإشعار مسلمي الشرق بالخوف من قوة الفرنج الجديدة، إلا أن غالبية المراجع الغربية الحديثة أجمعت على الاعتراف بأن مذبحة القدس كانت وصمة عار في تاريخ الحملة الصليبية الأولى[3].

وان هذه المذابح ولدت ردة فعل قوية من قبل المسلمين تجاه الصليبيين، وعزم على إخراجهم وطردهم من البلاد، وهو ما يسميه المستشرق رانسيمان بـ التعصب الاسلامي، فهو يقول: (وكان هذا الدليل على التعصب المسيحي المتعطش للدماء؛ هو الذي أدى الى

(١) هانس ابرهارد ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: د. عماد الدين غانم، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، د.ت، ص١٢٠.

(٢) د. صلاح الدين محمد نوار، العدوان الصليبي على العالم الاسلامي (٤٩٠-٥١٥هـ/ ١٠٩٧-١١٢١م) (أضواء جديدة على الحروب الصليبية)، دار الدعوة، القاهرة، ط١، د.ت، ص١٢٤.

(٣) د. صلاح الدين محمد نوار، العدوان الصليبي على العالم الاسلامي، ص١٢٥.

تعصب المسلمين، وفيما بعد عندما حاول لاتينيو الشرق الأكثر حكمة السعي نحو إيجاد بعض الأسس لتعاون المسيحيين والمسلمين، كانت ذكرى المذبحة تقف دائما عائقا في الطريق)[1].

أما ما كتبه المؤرخون المسلمون عن مذبحة بيت المقدس

لقد كتب الكثير من المؤرخين المسلمين عن سيطرة الجيش الصليبي على القدس، وعن بشاعة المجازر التي ارتكبوها بحق أهلها، وسنقارن ما كتب مع ما كتبه المؤرخون اللاتين.

فيذكر ابن القلانسي: (وهجموا على البلد فملكوه وانهزم بعض أهله إلى المحراب وقتل خلق كثير وجمع اليهود في الكنيسة وأحرقوها عليهم وتسلموا المحراب بالأمان في الثاني والعشرين من شعبان من السنة وهدموا المشاهد وقبر الخليل علية السلام)[2].

ويذكر ابن الأثير بعنوان (ذكر ملك الفرنج، لعنهم الله، البيت المقدس) قتلهم للمسلمين فيقول: (أتاهم المستغيث بأن المدينة قد ملكت من الجانب الآخر، وملكوها من جهة الشمال منه ضحوة نهار الجمعة لسبع بقين من شعبان، وركب الناس السيف، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعا يقتلون فيه المسلمين)[3].

كما يذكر ابن خلكان ما فعله الصليبيون بقوله: (وأخذوا البيت المقدس في شعبان سنة اثنتين وتسعين أيضاً، وكان الفرنج قد أقاموا عليه نيفاً وأربعين يوماً قبل أخذه، وكان أخذهم له ضحى يوم الجمعة، وقتل فيه من المسلمين خلق كثير في مدة أسبوع)[4].

---

(١) رانسيمان، ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ج١، ص٤٣٥.

(٢) ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد أبو يعلى التميمي (ت ٥٥٥هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: د سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٢٢٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٢٥.

(٤) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت

ثانياً: أعداد قتلى السكان في القدس

فيما يخص أعداد قتلى المسلمين في القدس، ذكر فوشيه أن أعدادهم بلغت العشرة آلاف قتيل: (وقد قطعت رؤوس ما يقارب من عشرة الاف شخص في هذا الهيكل، ولو كنت هناك لتلطخت قدماك حتى الكواحل بدماء القتلى، ماذا اقول ؟ لم يبق منهم احد ولم يرحموا امرأة ولا طفلاً)[1].

أما وليم الصوري فيقول عن أعداد القتلى: (ويقال: أنه قتل في داخل ساحة المسجد وحدها عشرة آلاف من المارقين، بالإضافة الى أن القتلى الذين تناثرت جثثهم في كل شوارع المدينة وميادينها لم يكونوا أقل عددا مما ذكرناهم)[2].

أما مؤلف كتاب أعمال الفرنجة فلم يذكر عدداً محدداً لقتلى المسلمين، لكنه ذكر أن أكوامهم بعد جمعهم خارج أسوار المدينة بلغ ارتفاعاً عالياً حتى صارت بارتفاع البيوت: (وصدر الأمر بطرح كافة موتى الشرقيين خارج البلدة ... وتعالت أكوامهم حتى حاذت البيوت ارتفاعا)[3]، وجمعت أكوام من الحطب كأنها الجبال، وأحرقوا عليها، ولا يعلم غير الرب عدد الذين أحرقوا[4].

نجد من خلال النصوص، أن المؤرخين اللاتين لم يبالغوا كثيرا في عدد القتلى المسلمين، فقدر فوشيه أن عددهم بلغ (عشرة آلاف) قتيل، بينما يذكر وليم الصوري ان القتلى داخل الحرم القدسي بلغ عشرة آلاف، وقتلى من غيرهم لا يقل عددهم عنهم، أي عشرة آلاف أخرى فبلغ العدد (عشرون ألفا)، وبعض المصادر لا تذكر عددا محددا، لكن تصفه

٦٨١هـ)، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط٧، ١٩٩٤م، ج١، ص١٧٩.

(١) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٧٥.

(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص١٢٧.

(٣) مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص١١٩-١٢٠.

(٤) مجهول، يوميات صاحب أعمال الفرنجة، ترجمة: سهيل زكار، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، ١٤١٦ه/ ١٩٩٥م، ج٦، ص١٧١.

بالكثرة وأنها بارتفاع البيوت، لكن يتفق الكل على أنه حدثت مذبحة رهيبة راح ضحيتها الأبرياء من الرجال الغير مشاركين في المعركة وكذلك النساء والأطفال وكبار السن.

أما ما ذكره المؤرخون المسلمون عن عدد القتلى:

لم يذكر ابن القلانسي عددا محددا للقتلى، أما ابن الأثير فيذكر أن القتلى بلغ عددهم ما يزيد على السبعين ألفاً: (وقتل الفرنج، بالمسجد الأقصى، ما يزيد على سبعين ألفا، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين، وعلمائهم، وعبادهم، وزهادهم، ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف، وأخذوا من عند الصخرة نيفا وأربعين قنديلا من الفضة، وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا نقرة، ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا، وغنموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء)[1].

ويتفق ابن الجوزي مع ابن الأثير بعدد القتلى فيقول في تاريخه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين واربعمائة، فمن الحوادث فيها: في عنوان (أخذ الإفرنج بيت المقدس وقتل سبعين ألف مسلم) ما نصه: (أخذ الإفرنج بيت المقدس في يوم الجمعة ثالث عشر شعبان، وقتلوا فيه زائدا على سبعين ألف مسلم)[2].

ويتفق ابن خلكان معهما على عدد القتلى فيذكر عددهم أنه كان ما يزيد على السبعين ألفا فيقول: (وقتل في الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، وأخذوا من عند الصخرة من أواني الذهب والفضة مالا يضبطه الوصف)[3].

أما صاحب كتاب مرآة الزمان في تواريخ الأعيان سبط ابن الجوزي فيذكر أن عدد

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٢٥.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج١، ص١٧٩.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٧٩.

قتلى المسلمين أكثر من ذلك فيقول في أحداث السنة الثانية والتسعون وأربعمائة: (ونزل الفرنج البلد، وهرب الناس الى الصخرة والأقصى، فاحتموا بها، فهجموا عليهم، فحكي أنهم قتلوا في الحرم مائة ألف وسبوا مثلهم، وقتلوا الشيوخ العجائز، وسبوا النساء)[1].

أما ابن كثير فيذكر عدداً أقل من ذلك فيقول: (وقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين)[2].

اتفق المؤرخون المسلمون على المذابح التي حدثت بحق سكان بيت المقدس من المسلمين واليهود، أما عن أعدادهم فقد اختلفوا فيما بينهم على تقديرها، فبعضهم يذكر أنهم ستون ألفا، وبعضهم يذكر أنهم بلغوا سبعين ألفا، والبعض الآخر يوصل العدد الى المائة ألف، وقطعا هذه مبالغة كبيرة من جانب مؤرخينا.

وكذلك اختلف مؤرخونا مع المؤرخين اللاتينيين في تقدير أعداد القتلى، فمؤرخو الحملة يذكرون أن عدد القتلى بلغ عشرة آلاف بينما مؤرخونا المسلمون زادوا العدد الى أضعاف ذلك حتى قدره بعضهم بمائة ألف قتيل.

ومن المرجح أن عدد قتلى المسلمين في بيت المقدس هو ثلاثين ألفاً استناداً إلى أحد المؤرخيـن الميدانيين[3] .

---

(١) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قز أوغلي بن عبد الله (ت ٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ج١٩، ص٤٩٧.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج١٢، ص١٩٢.

(٣) () السراج، شروق مجيد محيبس، أبرز أحداث الحروب الصليبية بين مؤرخيها المعاصرين العرب واللاتين (دراسة نقدية مقارنة ٤٨٩-٨٩٥/ ١٠٩٥-١٤٨٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد، ١٤٣٧ه/ ٢٠١٦م، ص٨٢؛ نقلاً عن المؤرخ يوشع براور Prawer، Yosshua، Crusader Institution(London، ١٩٨٠)، P. ٨٧.

ثالثاً: دخول بيوت المسلمين وأخذها ونهب ما بها من مال وأثاث

يذكر فوشيه كيف ان الجنود الصليبيين سيطروا على بيوت المسلمين ونهبوا ما فيها وسكنوها، قائلا: (بعد هذه المذبحة العظيمة، دخلوا بيوت المواطنين يتملكون ما وجدوا فيها، وقد رتبوا ذلك بحيث أن أول من يدخل بيت غني او بيت فقير، فلن يعارضه بذلك اي افرنجي، وله ان يسكن ويمتلك ذلك البيت او القصر وكل ما فيه كما لو كان بيته حقاً، وهكذا تبادلوا القرار بحق الاستملاك وبهذه الطريقة اصبح الكثير من الفقراء اغنياء)[1].

أما وليم الصوري فيذكر صورة أكثر بشاعة مما رسمها فوشيه حينما أخذوا بيوت المسلمين بقوله: (ومضى مغتصب كل بيت يدعي ان البيت الذي اقتحمه انما هو ملك خاص له، بكل ما احتواه، وذلك لأن الحجاج كانوا قد اتفقوا على قبل الاستيلاء على المدينة على انها اذا وقعت في أيديهم يكون كل ما يستولي عليه الواحد منهم ملكا خالصا له الى الأبد، لا ينازعه فيه أحد، ولا يعارضه فيه معارض، ومن ثم فقد مضى الحجاج يفتشون المدينة تفتيشا دقيقا، ويقتلون أهلها من غير خوف، ووصلوا في ذلك الى أقصى الأماكن حتى ما لا يكون منها على قارعة الطريق، ومضوا يحطمون مساكن العدو، ويعلق كل منتصر منهم على مدخل البيت الذي اغتصبه مجنه وسلاحه حتى لا يتوقف بالمكان من يمر به، بل عليه ان يجاوزه فقد صار ملكا لغيره)[2].

ثم ذكر وليم الصوري صراحة أن الجنود قد غصبوا البيوت من أيدي أهلها بعد قتلهم فقال: (وقد وجدت المدينة غاصة بشتى أنواع السلع والبضائع، حتى توفر لكل فرد من الناس – من أصغرهم الى أكبرهم – كم هائل من كل شيء، وعثروا في الدور

(١) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص٧٦.
(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص١٢٨.

التي اغتصبوها على كميات ضخمة من الذهب والفضة سوى المجوهرات وغالي الثياب، ووجدوا المخازن مليئة بالحبوب والزيت والنبيذ، ... ومن ثم فإن الذين اتخذوا تلك الدور سكنا لهم أصبحوا قادرين على إسعاف إخوانهم المحتاجين عن طيب خاطر)[1].

ان ما فعله الصليبيون في القدس يدل على حقيقة توجه هذا العدد الهائل من الاوروبيين والفرنج خصوصا الى بلاد الشام، فالأوضاع المزرية التي عاشتها طبقة عامة الشعب والأقنان والفلاحين، فهم أرادوا التخلص من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السيئة ومحاولة الحصول على أراضي ومساكن وأموال المسلمين، ولكن غطيت بغطاء ديني.

أما كبار الأمراء فأرادوا المشاركة للسبب نفسه وهو الحصول على إقطاعيات جديدة أو مدن لحكمها.

وهذا ما ذكره رانسيمان بقوله: وبدت فرصة الجمع بين الواجب المسيحي واقتناء الأرض في مناخ جنوبي فرصة جذابة للغاية[2].

ان غصب الأراضي والدور السكنية والاموال التي اخذها الجنود الصليبيون، ما هو الا انعكاس للحالة الاقتصادية المتردية التي كانوا يعانون منها، بالإضافة الى طبيعة شخصية الجنود، فبعضم أتى لهذه الحرب (المقدسة) بزعمهم وهو لص وقاطع طريق[3]، فظهرت أفعالهم على شكل عصابات، وهذا ما ذكره وليم الصوري (وجعل بعض العسكر من أنفسهم عصابات انطلقت تسطوا على البيوت ممسكين بأصحابها ونسائهم

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص١٣٥.

(٢) رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج١، ص١٦٣.

(٣) ينظر: رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج١، ص١٦٢-١٦٣؛ الزوبعي، محمود فياض حمادي حسن، المقاومة العربية الاسلامية للغزو الصليبي حتى معركة حطين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد، بغداد، ١٤٣٢ه/ ٢٠٠٣م، ص١٧.

وأطفالهم، وأخذوا كل ما عندهم)[1].

ولم تسلم من الفرنج حتى قبة الصخرة، فقد كسروا منها قطعا وباعوها في القسطنطينية والمدن الأوروبية وصقلية بوزنها ذهبا، ذكر العماد الأصفهاني: (وكان الفرنج قد قطعوا من الصخرة قطعا وحملوا منها إلى قسطنطينية، ونقلوا منها إلى صقلية، وقيل باعوها بوزنها ذهبا)[2].

وقد بين ابن الأثير سبب تغطيتها بالرخام والفرش، للحفاظ عليها من عمليات النهب والتكسير، فقال: (أن القسيسين باعوا كثيرا منها للفرنج الواردين إليهم من داخل البحر للزيارة، فكانوا يشترونه بوزنه ذهبا رجاء بركتها)[3].

ويبدو أن الحروب الصليبية تعتبر من أهم الوثائق التاريخية الدالة على حقد الغرب الصليبي على المسلمين، وخوفهم منهم، والتي بدأت من سنة ٤٩٠هـ، ومن يومها بدأ الاسلام الصراع الجاد الحقيقي مع أعدائه[4].

أما فيما يخص قتل اليهود فقد اتفق مؤرخونا مع المؤرخين اللاتين، في جمعهم في كنيس اليهود وإضرام النار فيهم وقتلهم جميعا، بحجة أنهم ساعدوا المسلمين في حربهم هذه، وشاركوهم في الدفاع عن المدينة، لكن الحقيقة أن الأحقاد القديمة فعلت فعلها أيضا، فهم متهمون بقتل المسيح، فعاقبهم الصليبيون على ما فعل آباؤهم من قبل.

---

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص١٢٨.

(٢) العماد الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد عِمَاد الدِّين الكاتب (ت ٥٩٧هـ)، الفتح القسي في الفتح القدسي = حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس، دار المنار، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٨٠.

(٣) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج١٠، ص٣٨.

(٤) أحمد باقر و عبد الله مبارك، الحروب الصليبية، مجلة الهجرة، نيويورك، ١٤٠٢ه/ ١٩٨١م، ص٤.

الخاتمة

١. إن ما حصل في بيت المقدس من احتلاله وتدنيس أرضه ومساجده وأماكن العبادة والقتل والنهب، فيه دلالة على مدى الضعف والانقسام والتشرذم الذي وصل إليه المسلمون آنذاك، فلم تستطع القوى الكبيرة آنذاك توحيد جهودها لنصرة المسلمين والحفاظ على بيت المقدس وهم كل من السلاجقة والفاطميون وكذلك الخلافة العباسية، وكذلك الإمارات والممالك الصغيرة في بلاد الشام والجزيرة، فضلا عن الممالك الشرقية والغربية في العالم الاسلامي.

٢. لقد تناست كل الممالك الأوروبية خلافاتهم وأحقادهم وعداءهم بعضهم لبعض؛ وتوحدوا من أجل هدف واحد هو محاربة المسلمين؛ فكان الأولى بالقوى الاسلامية الموجودة في الساحة آنذاك أن تتوحد جهودهم لمواجهة هذا الخطر، ولكنهم فطنوا لهذا الأمر بعد فوات الأوان، من سيطرة الفرنج على ساحل البحر المتوسط وإقامة ممالك مسيحية، فضلا عن المذابح التي ارتكبوها بحق الناس، ونهبهم للأموال والأراضي.

٣. إن كل الجرائم التي ارتكبها الصليبيون في بيت المقدس من قتل للنساء والاطفال وكبار السنّ والرجال العزل من السلاح والاستيلاء على بيوتهم وهدم دور العبادة حدث باسم الرب وإرضاء للمسيح مثلما ذكر مؤرخو الحملة الصليبية.

٤. اتفق جميع المؤرخين، اللاتينيين منهم و المسلمين على أنه: شمل القتل جميع المسلمين الموجودين في بيت المقدس وكذلك شمل جميع اليهود، فقد جمعوا في معابدهم وقتلوا وأحرقوا.

٥. بينما يحدد المؤرخون اللاتين عدد قتلى المسلمين بعشرة آلاف وبعضهم أكثر من ذلك، نجد أن المؤرخين المسلمين يقدرون القتلى بستين ألفا الى مائة ألف قتيل.

٦. المبالغة الكبيرة عند المؤرخين اللاتين عند ذكر جنودهم ووصفهم بالشجاعة والجرأة، وتقليل أعدادهم عند ذكر تفاصيل المعارك مع المبالغة في زيادة أعداد المسلمين، لتصوير جنودهم بالشجاعة المطلقة والنبل وحسن التخطيط الذي قاد الى هذه الانتصارات.

٧. النظرة الاستعلائية لدى الفرنج على المسلمين، تبين ذلك من خلال نعت المسلمين بالصفات الرذيلة من همجية ورعاع وبرابرة ووثنيين وملعونين.

٨. تناول هؤلاء المؤرخون الأحداث من وجهة نظر دينية، وهذا واضح من خلال العبارات التي استخدموها مثل: إرادة الرب، فضل الرب، جند المسيح...الخ.

٩. أظهر بعض المؤرخين اللاتين مشاعر الحزن والأسى تجاه الضحايا، في الوقت الذي رأى فيها البعض الآخر عقوبة إلهية للمسلمين، وتطهيرا لذنوبهم بسبب اغتصابهم قبر السيد المسيح.

١٠. ان ما صوره لنا المؤرخون الذين رافقوا الحملة الصليبية الأولى من عنف وبطش وقتل بحق المسلمين ليس له ما يبرره سوى الحقد الدفين والكره الكبير الذي كان يكنّه الفرنج للمسلمين، فما إن ملكوا زمام الأمور في بيت المقدس حتى ظهر حقدهم جليا بملاحقة السكان وقتلهم ببشاعة تدل على الوحشية، من بقر للبطون، وتقطيع للأعضاء، وحرق للجثث.

المصادر والمراجع

المصادر الأولية الاسلامية

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط٧، ١٩٩٤م.

٤. سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قز أوغلي بن عبد الله (ت ٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٥. العماد الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد عِمَاد الدِّين الكاتب (ت ٥٩٧هـ)، الفتح القسي في الفتح القدسي = حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس، دار المنار، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٦. ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد أبو يعلى التميمي (ت ٥٥٥هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: د سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٧. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

المصادر الأولية الأجنبية

٨. فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس (١٠٩٦-١١٢٧)، ترجمته من اللاتينية الى الانجليزية: الأخت فرنسيس ريتا ريان، ترجمة: د. زياد جميل العسلي، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٠م.

٩. مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة: د. حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٨م.

١٠. وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة: د. حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

المراجع الثانوية

١١. أحمد باقر و عبد الله مبارك، الحروب الصليبية، مجلة الهجرة، نيويورك، ١٤٠٢ه/ ١٩٨١م.

١٢. رانسيمان، ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.

١٣. الزهاوي، د. عباس عبد الستار عبد القادر، استشراق الحروب الصليبية بين المعاصرين والمحدثين، دار الفراهيدي، بغداد، ط١، ٢٠١١م.

١٤. الزوبعي، محمود فياض حمادي حسن، المقاومة العربية الاسلامية للغزو الصليبي حتى معركة حطين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد، بغداد، ١٤٣٢ه/ ٢٠٠٣م.

١٥. السراج، شروق مجيد محيبس، أبرز أحداث الحروب الصليبية بين مؤرخيها المعاصرين العرب واللاتين (دراسة نقدية مقارنة ٤٨٩-٨٩٥/ ١٠٩٥-١٤٨٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد، ١٤٣٧ه/ ٢٠١٦م

١٦. د. صلاح الدين محمد نوار، العدوان الصليبي على العالم الاسلامي (٤٩٠-٥١٥ه/ ١٠٩٧-١١٢١م) (أضواء جديدة على الحروب الصليبية)، دار الدعوة، القاهرة، ط١، د.ت.

١٧. لؤي ابراهيم بواعنة، رؤية المؤرخين الفرنج لواقع المسلمين إبان الحملة الصليبية الأولى (٤٩٠-٥٢١ه/ ١٠٩٦-١١٢٧م)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد ٥، العدد ٣، ٢٠١١م.

١٨. مجهول، يوميات صاحب أعمال الفرنجة، ترجمة: سهيل زكار، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، ١٤١٦ه/ ١٩٩٥م.

١٩. هانس ابرهارد ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: د. عماد الدين غانم، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، د.ت.